9

مصطلح الشرط، ومقولاته
في
الدرس النحوي العربي

الأستاذ الدكتور محمد كراكبي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة باجي مختار. عنابة

مصطلح الشرط، ومقولاته
في الدرس النحوي العربي

الأستاذ الدكتور محمد كراكبي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة باجي مختار. عنابة

الملخص:

الشرط نظام لغوي متميز، يوجب اطلاعا واسعا على مقولات النحاة العرب القدامى والمحدثين،وتنوط به أبعاد دلالية متنوعة تستعصي على القارئ العجل.من هذا المنطلق نسعى إلى تبيين مصطلحاته،ومفاهيمه.

حاول النحاة العرب تحديد مصطلح الشرط من منظارين: لغوي، ودلالي. ويتمثل المنحى اللغوي في أن "معنى الشرط العلامة والأمارة فكأن وجود الشرط علامة لوجود جوابه ومنه أشراط الساعة أي علاماتها، قال الله تعالى (فقد جاء أشراطها)"[(1)(2)]. ويقصد بالشرط في السياق الجملة التي تلي أداة الشرط، ويكون التعريف بهذا قد اقتصر على توضيح إحدى الجملتين المكونتين لأسلوب الشرط. وأما المنحى الدلالي، فيمكن في أن الشرط"وقوع الشيء لوقوع غيره"[(3)]، يفيد هذا التحديد أن في الشرط

شيئين يقع أحدهما بوساطة الآخر، وهذا أقرب إلى التفسير الدلالي العام للشرط.

وعدت الجملة الشرطية عند بعضهم صنفا من أصناف الجملة العربية، وألحقها آخرون بالجملة الفعلية؛ لأنها تتركب أصلا من جملتين فعليتين [4].

وقد أطلق النحاة على أسلوب الشرط مصطلحات عدة منها: الجملة الشرطية، والجزاء[5]، والشرط[6]، والمجازاة[7]، وبعد بحسب تصورنا نمطا لغويا مثله مثل التعجب، والنداء، والاستفهام.وللجملة الواردة بعد أداة الشرط مصطلحات، هي:

1-الفعل الأول: قال سيبويه[8]متحدثا عن الجملة الشرطية في"الاستفهام" "ومما لا يكون في الاستفهام إلا رفعا قولك: أعبد الله إن تره تضربه، وكذلك إن طرحت الهاء مع قبحه فقلت: أعبد الله إن تر تضرب، فليس للآخر سبيل على الاسم لأنه مجزوم وهو جواب الفعل الأول، وليس للفعل الأول سبيل، لأنه مع أن بمنزلة قولك: أعبد الله حين يأتيني أضرب"، فالفعل الأول المقصود هو في جمله (تره)

.

2-الفعل: وورد صراحة عن المبرد[9]في حديثه عن جواز الجزم بإذا، ما نصه "فإن اضطر الشاعر جاز أن يجازى بها لمضارعتها حروف الجزاء؛ لأنها داخلة على الفعل وجوابه، ولابد للفعل الذي يدخل عليه من جواب".

3-الشرط: يقول ابن يعيش[10]:"واعلم أنك إذا قلت في الشرط إن تكرمني أكرمك مثلا فالفعل الأول مجزوم بإن بلا خلاف فيما أعلم وهو الشرط".

ومثل ما قاله ابن جني[11]، في معرض حديثه عن مسألة تقديم الجواب: "فأما قولك أقوم إن قمت فإن قولك أقوم ليس جوابا للشرط ولكنه دال على الجواب، أي قمت قمت ودلت أقوم على قمت"، فواضح أن لفظ (الشرط) يقصد به فعل الشرط الذي هو(قمت).

4-جملة الشرط[12].

5-المقدم، وهو من اصطلاحات المناطقة[13].

أما المصطلحات التي تخص جملة جواب الشرط، فمنها:

- جواب الجزاء
- جواب الفعل الأول
- الآخر
- الجزاء

التالي، وهو، أيضا، من اصطلاحات أهل المنطق[14].

فتعدد المصطلحات عند النحاة العرب ينبئ عن اتساع الرؤى الفكرية في نوع الشرط، وتركيبه، وأسلوبه، وهذا ما دفع بعض اللغويين العرب المحدثين إلى توضيح الأسلوب الشرطي؛ لأنه يشكل نظاما لغويا متميزا في اللغة العربية، بحيث لا يمكن إدراجه في النوعين المشهورين: الفعلية،والاسمية، وذلك لاختلاف دلالته، وتركيبه عنهما. والملاحظ أن منهم من تناول المصطلحات القديمة بدلالاتها، ومنهم من استعملها بدلالات مخالفة،ونذكر من النوع الأول ما يلي:

- الشرط والجواب، أو الجزاء[15]
- فعل الشرط، وفعل الجواب[16]
- جملة الشرط وجملة الجواب[17]

ومن النوع الثاني :

- جملة الشرط[18]
- الجملة الشرطية[19]
- عبارتا الشرط، والجواب[20]

ومن أهم المصطلحات التي تفيد الأسلوب الشرطي بكامل مكوناته:

- الجملة الشرطية ذات الشقين[21]

- الجملة الشرطية: بعدها تركيبا لغويا مكونا من: أداة الشرط + جملة الشرط+ جملة الجواب [22]

- التركيب الشرطي [23]

- الشرط [24]

أما فيما يتعلق بتحديد الجملة الشرطية، فإن بعض الكتب الحديثة، والمعاصرة أوردت مجموعة من التعريفات، متباينة في تنوع المصطلحات، متفقة في توضيح النظام اللغوي، والقيمة الدلالية لأسلوب الشرط.

ومن هذه التعريفات:

1- أن:

الشرط أسلوب لغوي، ينبني بالتحليل على جزءين: الأول منزل منزلة السبب، والثاني منزل منزلة المسبب،...فجملة الشرط إذن تتألف من عبارتين لا استقلال لإحداهما عن الأخرى تسمى العبارة الأولى شرطا وتسمى العبارة الثانية جوابا أو جزاء، وليست عبارة الشرط جملة...، لأنها - على حدة-لا تعبر عن فكرة تامة أيضا وهذه الفكرة التامة -إنما

يعبر عنها بجملة الشرط التي تعتمد في وجودها على الشرط والجواب" [25].

أبرز التعريف:

أ- القيمة الدلالية للشرط، من حيث إنه أسلوب لغوي مكون من طرفين .

ب- القيمة التركيبية، من حيث إنه ينبني على عبارتي الشرط والجواب اللتين تصل بهما.

2-"أن التركيب الشرطي وحدة نحوية تحمل قضية تنحل إلى طرفين ثانيهما معلق بمقدمة يتضمنها الأول ، والعامل الذي تنعقد به القضية قد يكون لفظا صريحا وهو الأداة وقد يكون مظهرا نحويا في صلب التركيب وهو سياق الطلب"[26]، و"أن الشرط مصطلح دال على نوع من التراكيب ذات الطرافة المبدئية قد يتعذر إدراجه ضمن التصنيف النوعي الجاهز في النحو المتعارف إلا إذا قضينا على خصائصه الأسلوبية العامة "[27].

نلاحظ على هذين التعريفين :

1- توفر بعض المصطلحات المنطقية، كالقضية والمقدمة؛ لأن الواقع اللغوي لأسلوب الشرط يفرض وجودها.

2- إبراز الالتحام بين جملتي الشرط والجواب.

3- الإشارة إلى وجود الأداة، وغيابها.

4- وجود مصطلحين لهما مدلول واحد: الشرط، والتركيب الشرطي.

5- صعوبة إدراج (الشرط) في صنفي الاسمية، والفعلية.

6- إن أهم ما يجلب الانتباه هو جملة(أن التركيب الشرطي وحدة نحوية) التي تبرز التردد بين عد الشرط جملة ،وبين عدم وصفه كذلك ،ولما تبين أن مصطلح (الجملة)لاينطبق على النظام اللغوي للشرط عوض بمصطلح الوحدة النحوية، ولولا التوضيح الذي سبق ، لكان هذا المصطلح عاما؛ لأن الجملة توصف كذلك بأنها وحدة نحوية في الكلام.

3-"الشرط أسلوب إنشائي، أو خبري، بحسب القرائن، وتركيب مبني على تآلف جمل إسنادية بسيطة مع بعضها(*)، أو مع جمل غير إسنادية بعلاقة مركبة "[28].

يبين التعريف:

1- نوع الأسلوب الشرطي: وهو نوعان: أ- إنشائي ب - خبري

2- تركيبه النحوي أي: أن الجملة الشرطية تعد جملة مركبة مكونة من جمل بسيطة، إسنادية أو غير إسنادية .

والخلاصة:

1- أن الأسلوب الشرطي نظام لغوي متفرد في اللغة العربية، يجب فصله عن التصنيف النوعي المشهور للجملة العربية، ليكون نوعا قائما بذاته، جديرا بالوصف والدراسة، ويتكون من أداة الشرط، وجملة الشرط، وجملة الجواب، وتقوم الأداة بوظيفة الربط، وتأتي جملة الشرط في الأصل لبيان أن غيرها معلق عليها، وقد تكون بسيطة، أو مركبة، أو مزدوجة، أو متعددة الإسناد(**)، وترد جملة الجواب في الوضع الأول لبيان أنها تقع بوقوع غيرها، وقد تصدر بإحدى الأدوات التالية: الفاء، أو اللام، أو إذا، كل ذلك حسب نوع أداة الشرط، وقد تتجرد عنها، وقد تكون بسيطة، أو مركبة، أو مزدوجة، أو متعددة الإسناد.

2- أدوات الشرط بحسب تواترها[29]إن، من، لو، إذا، لولا، م ، إما، أينما، أنى، أياما، حيثما، مهما، لوما، والمشهور فيها أنها قسمان:

. قسم أصلي ، ويضم إن ، وإذا ، ولو.

. قسم غير أصلي، ومنه من، ما، أين، متى...وغيرها. ويعود عدم أصليتها إلى أنها تدل في وضعها اللغوي الأول على الإنسان، والمكان، والزمان...، وتخرج إلى الشرط بحكم الاستعمال.

3- أجاز الكوفيون تقديم الجواب، ومنعه البصريون، وقد قلنا بالرأي الأول؛ لأن فيه قربا إلى منطق اللغة.

4-كثرت الصيغة الماضية في جملة الشرط.

5–اتسمت جملتا الشرط والجواب بمرونة لغوية، من حيث ورودهما بسيطتين، ومركبتين، ومزدوجتين، ومتعددتي الإسناد. وهذا التنوع مرده إلى الفكرة المبلغة، فإن كانت بسيطة، استعمل جملا بسيطة، وإن كانت معقدة، استعمل جملا مركبة للتوضيح .

6. انسجمت الجملة الشرطية غالبا مع البناء النحوي العام لها.

الهوامش

1- سورة محمد، الآية 18.

2- ابن يعيش(موفق الدين بن يعيش النحوي 643 هـ)، شرح المفصل، ج8، ص188، مكتبة المتنبي، القاهرة، د، ت.

3- المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد 285م))، المقتضب، ج2، ص43، تحقيق عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، د ت.

4- المصدر السابق، ج1، ص88.

5-سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر 180م)، الكتاب، ج3، ص56، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ودار الرفاعي، الرياض، ط2، 1983م.

6-المبرد، المقتضب، ج2، ص46.

7- المصدر السابق، ج1، ص132.

8-المصدر السابق، ج2، ص56.

9- شرح المفصل، ج7، ص42.

10- لخصائص، ج2، ص378، ج2، ص378، وتاليها،تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 2، 1975م، وانظر،ابن عصفور،(أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي الحضرمي الإشبيلي 669هـ)، المقرب، ج1.ص276، تحقيق أحمد عبد الستار الجواري، وعبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1971م، وابن مالك(أبو عبد الله جمال الدين مجمد 672 هـ)، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ص239،تحقيق وتقديم محمدكامل بركات، دارالكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968م .

11- انظر، مثلا، ابن هشام(أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف أحمد بن عبد الله الأنصاري المصري 761هـ)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج2، ص646، تحقيق

محمد محيي الدين عبد الحميد،مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، مطبعة المدني، القاهرة، د، ت

12- الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله 794م)، البرهان في علوم القرآن، ج2،ص252، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، د، ت.

13-المصدر نفسه، ج4 ،ص 252.

14-انظر، مثلا، استعمالها عند د/ ريمون طحان، الألسنية(2)، ص91، الألسنية العربية، الألسنية(2)، دار الكتاب اللبناني،بيروت،لبنان،ط 2، 198م.

15انظر،د/عبد العليم إبراهيم، ص271، النحو الوظيفي، دار المعارف،مصر، القاهرة، ط4، د، ت.

16- يوسف المطلبي، في التركيب اللغوي العراقي المعاصر نشير إليه ب(في التركيب اللغوي)، ص13،دار الرشيد للنشر، ودار الحرية للطباعة، بغداد، 198م.

17- ويقصد بها د/ مهدي المخزومي الأسلوب الشرطي بكامل عناصره، انظر في النحو العربي: نقد وتوجيه، ص56، و284،المكتبة العصرية،صيدا، بيروت، لبنان، ط1، 1964م.

18- تعادل الجملة الشرطية عند عباس حسن، الجملة التي تلي أداة الشرط، انظر النحو الوافي، ج4، ص398،دار المعارف، مصر، ط4، 1971م.

19- انظر د/ مهدي المخزومي، في النحو العربي: نقد وتوجيه، ص 284.

20- المرجع نفسه، ص 284.

21- د/ ريمون طحان، الألسنية العربية، الألسنية 2، ص 90، وتاليها.

22- د/ يوسف المطلبي، في التركيب اللغوي، ص13.

23- د/عبد السلام المسدي، ود/محمد الهادي الطرابلسي، الشرط في القرآن، ص17، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، 1981.

24- المرجع نفسه، ص، ن.

25-المرجع نفسه، ص22.

26-هذه الفكرة مأخوذة من القدامى. انظر عبد القاهر الجرجاني،(عبد القاهر بن عبد الرحمن أبو بكر 471 هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني ص258، تعليق وشرح محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، القاهرة، 1980م.

27- المرجع السابق، ص23.

*- الأفصح أن يقول: بعضها من بعض.

28- يوسف المطلبي، في التركيب اللغوي ص64.

**- نعني بالتعدد الإسنادي توالي جمل معطوف بعضها على بعض بالواو، أو الفاء، وغيرها.

29- انظر، مثلا. د/عبد السلام المسدي، ود/محمد الهادي الطرابلسي، الشرط في القرآن، ص119.